ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

الاسطول المملوكي (وأنواع سفنه الحربية (648هـ-923هـ/ 1250-1517م)

الأستاذ المساعد الدكتور: عمر سعدون حمود

جامعة بغداد/ كلية التربية/ قسم التاريخ

مكان العمل: وزارة التربية المديرية العامة لتربية بغداد الرصافة الثالثة

تاريخ استلام البحث: 1 / 2 / 2026 تاريخ قبول البحث: 17 / 3 / 2026

الملخص

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

يتناول هذا البحث نشأة الأسطول المملوكي (648-923هـ/ 1250-1517م)، وتطوره وتنظيمه الإداري والعسكري، ودوره في حماية السواحل الإسلامية وتأمين طرق التجارة البحرية .وقد لا سيما ان المماليك ورثوا التقاليد البحرية من الدولتين الفاطمية والأيوبية، ثم عملوا على تطويرها بما يتناسب مع متطلبات عصرهم، خاصة في عهد السلطان الظاهر بيبرس(ت677هـ/1279م) الذي أولى الأسطول اهتمامًا كبيرًا، فأعاد تنظيمه واهتم ببناء السفن وتحصين الثغور.

تنوعت السفن الحربية في الأسطول المملوكي، ومن أبرزها :الشواني، وهي السفن الكبيرة المخصصة للمعارك البحرية وتحمل أعدادًا كبيرة من الجنود؛ والأغربة، وهي سفن أخف وأسرع للمناورة والهجوم؛ والحراريق، المجهزة بالمواد الحارقة لإحراق سفن العدو؛ فضلاعن الشلندي، والحمالات، والشياطي التي استُخدمت لأغراض النقل والاستطلاع والإمداد. تميز الأسطول بتنظيم إداري دقيق شمل وجود رتب عسكرية مثل أمير البحر وقادة السفن والجنود البحريين، كما اعتمد على دور صناعة السفن في الإسكندرية والروضة والسويس .وكانت تُجرى مناورات بحرية تدريبية بحضور السلاطين وكبار رجال الدولة للتأكد من جاهزية السفن والجنود.

أدى الأسطول دورًا مهمًا في مواجهة الصليبيين وحماية السواحل من هجمات القراصنة في البحر المتوسط، كما شارك في الصراع البحري ضد البرتغاليين في المحيط الهندي في أوائل القرن السادس عشر، ولاسيما في معركة ديو سنة 920هـ/ 1509م التي انتهت بهزيمة المماليك وأثرت في قوتهم البحرية.

وتخلص الدراسة إلى أن القوة البحرية شكّلت عنصرًا استراتيجيًا مهمًا في بنية الدولة المملوكية، غير أن التحديات الداخلية ونقص الموارد الطبيعية، إضافة إلى التفوق البحري الأوروبي، حدّت من قدرة المماليك على الحفاظ على مكانتهم البحرية حتى سقوط دولتهم.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

Abstract

This research deals with the origin, development, organization, and military role of the naval fleet of the Mamluk Sultanate (648–923 AH / 1250–1517 AD). The Mamluks inherited naval traditions from the Fatimid and Ayyubid states and further developed them according to their political and military needs, especially during the reign of Sultan - Baybars, who reorganized and strengthened Armada. The Mamluk navy included several types of warships, such as the shawani (large war galleys), the aghriba (lighter and faster vessels), and the harariq (fire ships equipped with incendiary materials), in addition to other ships used for transport, supply, and reconnaissance The fleet was organized under direct state supervision, with a clear administrative and military structure, including the Amir al-Bahr (Commander of the Sea), ship captains, and naval soldiers. Naval dockyards were established in Alexandria, al-Rawda, and Suez, and regular naval exercises were conducted to maintain combat readiness. The Mamluk fleet played a significant role in confronting the Crusaders and suppressing piracy in the Mediterranean. It also engaged in naval conflicts against the Portuguese in the Indian Ocean, particularly, resulted in a decisive defeat that weakened Mamluk naval power. In conclusion, naval power constituted a strategic pillar of the Mamluk state. However, structural challenges, limited resources, and the rapid development of European naval power ultimately reduced the effectiveness of the Mamluk fleet prior to the fall of the state in 1517.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

مقدمة

تُعد القوة البحرية إحدى الركائز الأساسية في بناء الدول ذات الامتداد الساحلي، لما لها من دور كبير في حماية الحدود، وتأمين التجارة، ومواجهة الأخطار الخارجية، وقد برز المماليك في الحقبة (648-923هـ / 1250-1517م) باعتبارها إحدى القوى العسكرية الكبرى في العالم الإسلامي، إذ استطاعت أن تواجه الأخطار الصليبية والمغولية، وأن تحافظ على سيطرتها على مناطق واسعة من مصر والشام والحجاز، غير أن القوة العسكرية المملوكية لم تقتصر على الجيش البري، بل امتدت إلى المجال البحري من خلال إنشاء أسطول حربي ساهم في حماية السواحل الإسلامية والتصدي للأعداء، لاسيما الصليبيين والبرتغاليين، وجزيرتي قبرص ورودس وغيرها .

ومن المعروف ان المماليك ورثوا تقاليد بحرية سابقة من الدولتين الفاطمية والأيوبية، ثم عملوا على تطويرها وفق احتياجاتهم العسكرية والسياسية، فأنشأوا السفن الحربية، وأقاموا دور الصناعة البحرية، ونظموا الإدارة البحرية، وخاضوا معارك بحرية مهمة، كان لها أثر كبير في تاريخ المنطقة

وتكمن أهمية دراسة الأسطول الحربي في دولة المماليك في كونه يمثل جانبًا مهمًا من التنظيم العسكري المملوكي كما يكشف عن مدى إدراك الدولة لأهمية البحر في الصراع العسكري والسياسي، ويبين طبيعة التحديات التي واجهتها الدولة، ومدى قدرتها على مواجهتها وإبراز دور الأسطول الحربي في القوة العسكرية المملوكية بمختلف صنوفها.

ورغم اهتمام المؤرخين بالجيش المملوكي البري، فإن الأسطول الحربي لم يحظ بالدراسة الكافية، مما يجعل دراسة هذا الموضوع ضرورية لفهم طبيعة القوة العسكرية المملوكية.

تكمن مشكلة البحث في محاولة الإجابة عن التساؤلات الآتية:

-كيف نشأ الأسطول الحربي في دولة المماليك؟

-ما هي أنواع السفن الحربية التي استخدمها المماليك؟

-كيف كان تنظيم الأسطول وإدارته؟

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

-ما هو دور الأسطول في الحروب البحرية؟

منهج البحث

اعتمد البحث على المنهج التاريخي التحليلي، من خلال دراسة المصادر التاريخية الأصلية، مثل كتب المقريزي وابن إياس، بالإضافة إلى الدراسات الحديثة.

المبحث الأول: نشأة الاسطول الحربي في دولة المماليك

اولًا: الخلفية التاريخية للأسطول المملوكي

لم ينشأ الأسطول المملوكي من فراغ، بل كان امتدادًا للتقاليد البحرية الإسلامية التي ازدهرت منذ العصر الأموي والعباسي، ثم بلغت أوجها في العصرين الفاطمي والأيوبي، خاصة في مصر والشام. اذ أدرك المماليك أهمية القوة البحرية في حماية الدولة، لاسيما أن مصر تطل على البحر المتوسط والبحر الأحمر [1] وقد استفاد المماليك من هذه الخبرات البحرية، ومن الموانئ المهمة مثل الإسكندرية ودمياط والسويس.

كانت أول دار لصناعة السفن ظهرت في مصر هي (صناعة الجزيرة) في جزيرة الروضة سنة54هـ/569م ومن ثم أهتم الطولونيين بهذه الصناعة الى درجة كبيرة[2]، وكان يشتغل بهذه الصناعة فقط الذين يتمتعون بخبرة عالية وهمة وعزم ثم انشأ دار صناعة في ساحل الفسطاط بمصر [3]، اذ قام الملك الصالح أيوب قلعة جزيرة الروضة لتكون مركزاً لمماليكه وأمرائه وبقي هذا الى أيام الطولونين وانشأ دار

(1) المقريزي، تقي الدين أبو العباس (ت 845هـ/ 1441م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار، تحقيق: خليل منصور، ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1418هـ/1998م)، ج2، ص45.

(2) ابن اياس، محمد بن احمد الحنفي(930هـ/ 1523م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ط1، المعهد الألماني للبحوث الشرقية، (بيروت، 1395هـ/ 1975م) ، ج 5، ص 675.

(3) المقريزي، الخطط، ج2، 230.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

لصناعة السفن بها[1]، ثم نقل هذا الدار الى ساحل النيل بمصر التي تعرف باسم دار احد زوجات الامراء واستمرت تلك الصناعة الى عهد المماليك[2]

وقد أسس المماليك دولتهم سنة 648هـ / 1250م بعد أن كانوا جزءًا من الجيش الأيوبي، واستمروا في استخدام النظم العسكرية السابقة، مع تطويرها لتناسب ظروفهم السياسية والعسكرية الجديدة ، ورث المماليك الأسطول من الدولة الأيوبية، ثم عملوا على تطويره، خاصة في عهد السلطان الظاهر بيبرس (658-676هـ)[3]، الذي اهتم بتقوية الأسطول[4]. وحين انتهت دولة بني أيوب وسيطر الاتراك على مصر همل الاسطول البحري واصبح من الواجب إعادة النظر في امر القطع والسفن الحربية ، واستعان بأهل الخبرة الذين كانوا على علم بمختلف أنواع السفن ، وزود الشواني بقطع الأخشاب لعمارتها ، وإزدهارها كما كانت علية قبل ايام الملك الصالح نجم الدين أيوب [5]، وأمن على الخراج ولم يسمح للعامة من التقرب لمواد صنع السفن ، وكثر صناعة السفن الحربية ولا سيما الشواني في تغري الاسكندرية وكان يشرف بنفسة على صنع السفن في الثغور واستدعى بشواني السواحل الأخرى الى مصر وبذلك كثرة القطع الحربية الى اربعين قطعة سوى الحراريق والطرائد فهي كانت كثيرة وجارى السلطان الأشرف صلاح الدين خليل بن

---

(1) المصدر نفسة،.

(2) المصدر نفسة، ج3، ص45.

(3) الظاهر بيبرس: هوركن الدين بيبرس بن عبد الله البندقاري الصالحي لقب بأبي الفتوح ، سلطان مصر والشام ورابع سلاطين الدولة المملوكية ومؤسسها الحقيقي ولد عام 625هـ/ 1228م حقق خلال حياته العديد من الانتصارات ضد الصليبيين وخانات المغول توفي (676هـ/1277م). الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي، (ت 748هـ/ 1347م) ، سير اعلام النبلاء، بيت الأفكار الدوليه، ص 1252.

(4) ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء (ت 774هـ/1372م)، البداية والنهاية، ط1، مطبعة السعادة، (القاهرة، 1385هـ)، ج13، ص249.

(5) الملك الصالح نجم الدين أيوب:- هو أيوب بن الكامل ناصر الدين محمد ابن السلطان العادل سيف الدين أبي بكر الأمير نجم الدين بن شادي سلطان الديار المصرية ولي الشرق وديار بكر في أيام والدة الملك الكامل، بويع بالسلطة في شوال سنة (٦٣٩هـ / ١٢٤١م)، وله اعمال جليلة توفي في النصف من شعبان (٦٤٧هـ / ١٢٤٩م) . ينظر : ابن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن ابي الفوارس (٧٤٩هـ / ١٣٤٩م) ، تاريخ ابن الوردي ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م)، ج ٢، ص ١٧٦.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

قلاوون الملك الظاهر رغم مدة حكمة القصيرة التي لم تمتد لاكثر من ثلاث سنين[1] بعمل الشواني وتجهيزها في دور الصناعات ومثله السلطان الناصر محمد بن قلاوون وهكذا الى اخر دولة المماليك التي عرفت بالتاريخ في اعمالها التجارية والحربية في البحر[2].

ثانيًا: دوافع إنشاء الأسطول الحربي

يمكن تحديد أهم دوافع إنشاء الأسطول الحربي المملوكي في النقاط الآتية:

1-مواجهة الخطر الصليبي:

كان الصليبيون يعتمدون على الأساطيل البحرية في نقل الجيوش والإمدادات، لذلك كان من الضروري وجود أسطول إسلامي لمواجهتهم[3].

2-حماية السواحل الإسلامية:

امتدت سواحل الدولة المملوكية على البحرين المتوسط والأحمر، مما جعلها عرضة للهجمات البحرية[4].

---

(1) الملك الاشرف :- هو الملك الاشرف صلاح الدين بن السلطان المنصور فلاوون ، ثامن سلاطين المماليك في مصر تولى الحكم سنة (٦٨٩هـ / ١٢٩٠م) ، وصف بأنه أشجع مملوك الترك وقام بتحرير عكا والقضاء على اخر معقل للصليبيين ، توفي مقتولاً سنة (٦٩٣هـ / ١٢٩٣م)، للمزيد : ينظر : النويري ، شهاب الدين بن احمد عبد الوهاب (ت 733هـ/ 1332م)، نهاية الأرب في معرفة فنون الأدب ، تح: نجيب مصطفى وحكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، (بيروت، 2003م)، ج ٣، ص ١٣٢ ؛ ابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف (ت874هـ/ 1469م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، وزارة الثقافة والارشاد، دار الكتب ، مصر ، د.ت) ، ج ٨ ، ص ٣.

(2) المقريزي، الخطط، ج5، ص321.

(3) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج1، ص 543.

(4) المصدر نفسة.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

3-حماية التجارة البحرية:

كانت مصر مركزًا مهمًا للتجارة العالمية، سيما التجارة بين الشرق والغرب[1].

4-مواجهة التوسع الأوروبي:

ظهر خطر جديد في أواخر العصر المملوكي، سيما بعد وصول البرتغاليين إلى المحيط الهندي، مما اضطر الدولة إلى تطوير أسطولها البحري[2]

المبحث الثاني: أنواع السفن الحربية في الأسطول المملوكي

تميز الأسطول المملوكي بتنوع السفن الحربية، وكان لكل نوع وظيفة عسكرية محددة .

أولًا: الشواني:-

الشواني هي السفن الحربية الكبيرة، وكانت مجهزة بعدد كبير من المجاديف يصل إلى نحو 140 مجدافًا، وكانت تحتوي على أبراج للقتال ومخازن للمؤن والمياه، مما جعلها مناسبة للمعارك البحرية الطويلة. وقد بلغ عددها نحو 60 سفينة في الأسطول المملوكي[3]، وهذا النوع من السفن الحربية كثير الاستعمال في دولة المماليك في مصر مع حربهم ضد الروم[4]، فضلاً عن القراقير والزوارق والطرايد التي كانت تفتح من الأخير محكمة بابواب تفتح وتغلق معدة لحمل الخيل بسبب الحرب[5] والسلالير والعشاريات وهذه الأنواع كان لكل منها استخدام في الحرب اذ كانت تقوم بنقل الجيوش والخيول ومستلزمات الجند ، وكان هناك من السفن تمتلك ثلاثة ظهور وثلاث قلاع تسير بها في الريح العاصف وذكرت المصادر العربية ان

(1) المقريزي، السلوك، ج 3، ص 451.

(2) ابن اياس، بدائع الزهور، ج4، ص321.

(3) المقريزي، السلوك، ج2، ص120.

(4) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص330.

(5) المصدر السابق، ج14، ص 484.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

في وقعة الإسكندرية 767هـ/1365م كانت الشواني من صنوف السفن التي كانت تجري في بحر الروم، فضلاً عن أنواع أخرى من السفن .

ثانياً: الاغربة:-

وهي سفن حربية أصغر حجمًا من الشواني، وكانت مجهزة بنحو 100 مجداف، وتميزت بسرعتها وخفة حركتها، وكانت تستخدم في الهجوم والمناورة، وقد بلغ عددها نحو 100 سفينة[1]. وكانت تحمل الغزاة وتسير بالقلع والمجاذيف[2] ، اذ ذكرت ونصت الروايات التاريخية على استخدام هذا النوع من السفن في الاستعدادات الحربية للاسطول المملوكي كما جاء في النص " نزل الى ساحل بولاق ليشاهد الاغربة والطرائد التي عرضت تجهيزاتها "[3]، وفي هذا النص دليل على استخدام هذا النوع من السفن التي كانت تحمل الرجال والسلاح في السواحل البحرية اذ استخدمت في سواحل بولاق في عهد السلطان الاشرف برساي (842-857هـ/ 1437-1438م) [4].

اذ ذكر ابن تغري بردي " توجه الى بيت احد الامراء المطل على النيل ببولاق حتى شاهد الاغربة عند سفرهم فأنحدر أربعة أغربة قي كل غراب أمير وتقدم الأربعة الأمير وحاجب الحجاب المعروف بقاش"[5]

---

(1) المصدر نفسة، ج2، ص125.

(2) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ط9، مكتبة الانجلو مصرية، (مصر، 2010م)،ج2، ص423.

(3) ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج 14، ص276.

(4)الاشرف برسباي : السلطان أبو النصر برسباي بن عبد الله السلطان الظاهري الشركسي الثاني والثلاثون من ملوك الدرق والثامن من ملوك الشراكسي اشتراه الامير دقماقي وارسله الى الظاهر برقوق فأصبحمن ممالكة وتدرج في المناصب إلى أن تولى السلطنة سنة (٨٢٥ هـ / ١٣٢١م)، توفي سنة (٨٤١هـ / ١٤٣٧م). للمزيد: ينظر: ابن تغري بردي، المنهل الصافي، والمستوفي بعد الوافي، تح: محمد محمد امين ، الهيئة المصرية ، ج 3، ص ٢٥٥-٢٦٢؛ السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد(ت 902هـ/ 1496م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، (بيروت، د.ت)، ج ٣، ص ٨.

(5) المصدر نفسة.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

ثالثاً: الحراريق:-

جمعها حراقات وقد تجمع على حرارِيق[1]، والحراقات سفن فيها مرامي نيران، وقيل هي المرامي أنفسها [2]، وقيل ايضاً الحراقة بالفتح والتشديد كثير من السفن يوجد فيها مرامي نيران لقذف بها العدو في البحر[3]. وذكر ايضاً ان الحراريق كانت تستخدم في النهر لحمل الامراء وكبار الرجال في الحركات البحرية والمناسبات الرسمية[4]. اذ ذكرت النصوص التاريخية ان الحراريق كثرت استخداماتها الحربية وغير الحربية اذ كانت تستخدم بالمناسبات المختلفة ففي سنة 689هـ/ 1290م ذكرت الرواية " لبس العسكر لباس الحرب وطلبوا من الجانبين وتجملت السفن في النهر ولعب الزراقون في النفط"[5] ، وكانت هذه السفن تستخدم في نقل المسجونين من الامراء كما ذكر المقريزي ذلك : " وفي احدى الليالي حمل الامراء الذين تم سجنهم في الحراريق الى سجن الإسكندرية " [6]. وضح هذا النص ان استخدامها ليس فقط بالحروب انما في أمور أخرى.

وهي سفن مخصصة لإحراق سفن العدو، وكانت مزودة بمواد قابلة للاشتعال مثل النفط، وكانت تستخدم في العمليات الهجومية، وقد تُزود أحيانًا بالمدافع[7].

رابعاً: الشلندي:-

---

(1) الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (1205هـ/ 1790م)، تاج العروس من جواهر القاموس، المجلس الوطني للثقافة والفنون، (الكويت، 2001م)، ج5، ص 157.

(2) المقريزي، السلوك، ج2، ص200.

(3) الجوهري، أبو النصر إسماعيل بن حماد (ت 393هـ/1002م)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: احمد عبد الغفور، ط4، دار العلم، (بيروت، 1407هـ/1987م)، ج6، ص235.

(4) المقريزي، المواعظ والاعتبار

(5) المقريزي، السلوك، ج2، ص216.

(6) المصدر نفسة، ج5، ص236.

(7) ابن اياس، بدائع الزهور، ج3، 45.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

وهي من السفن الحربية استعملها العرب في العصور الوسطى تتالف من طابقين في الأعلى الجنود المقاتلون وفي الأسفل الجدافون[1]، جمعها شلنديات وهي مراكب بحرية كبيرة مسطحة لحمل المقاتلة والسلاح وتعادل في أهميتها الشونة والحراقة ولها ساريتان أو ثلاث سوار يبلغ طولها 195 قدماً وعرضها 33 قدماً وكانو يجهزونها ب24 مدفعاً وحمولتها 600 شخصاً[2].

خامساً: الحمالة:-

جمعها حمالات وهي مراكب حربية تحمل الازواد للرجال، وتحمل فيها الخيالة، ومهندسين المراكب مثل المراكب الديوانية التي تحمل الغلات السلطانية[3].

سادسا: الشياطي:-

كان هذا النوع من السفن يجر بثمانين مجذافا ووظيفته الكشف والاستطلاع ثم يرد بالخبر للقراقير والغربان وغيرها[4].

ومهما تعددت أنواع السفن، واختلف حجمها فان تصنع من خشب الساج الذي كان كأنه الحوت في الماء ، وقد ذكر ابن خلدون في مقدمته عن صناعة السفن وقال : " قد يحتاج الى هذه الصناعة في انشاء السفن البحرية ذات الالواح والدسر، وهي أجرام صنعت بشكل هندسي تشبه الحوت واعتبار سبحة في الماء بأدواته التي يتكون منها ويساعدها هذا الشكل في مصادمة الماء، شبيهه بالحركة الحيوانية وربما اعتنت بحركة المجاذيف كما في الاساطيل"[5].

---

(1) عطية الله ، احمد، القاموس الإسلامي، ط1، دار النهضة، (القاهرة، 1963م)، ج4، ص139.

(2) ابن مماتي، الاسعد ابن مماتي (ت606هـ/ 1209م)، قوانين الدواوين، تح: عزيز سوريال، مطبعة مصر، (الإسكندرية، 1943م)،ص340.

(3) المقريزي، المواعظ والاعتبار ، ج5، ص432.

(4) المصدر نفسة.

(5) ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون (ت 808هـ/1405م)، المقدمة، ط1، دار الفكر، (بيروت، 1401هـ/1981م)، ج3، ص402.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

السلاح البحري: كان يقسم إلى نوعين رئيسين، هما: المراكب النهرية (النيلية) والمراكب البحرية، فضلا عن الجانب الإداري المنظم لشؤونها وقد وصف المقريزي الصناعة، بأنها المكان المخصص لإنشاء المراكب الحربية، وهي السفن التي يطلق على مفردها سفينة، وكانت هذه السفن في مصر نوعين: نيلية وحربية، أما السفن الحربية فكانت تنشأ خصيصا لمواجهة العدو، وتجهز بالأسلحة وآلات القتال والمقاتلين، ثم تنطلق من ثغور مصر مثل الإسكندرية ودمياط وتنيس والفرما لمقاتلة أعداء المسلمين من الروم والفرنج، وقد عرف مجموع هذه المراكب الحربية باسم "الأسطول"، وأما المراكب النيلية فكانت تُصنع لتسير في نهر النيل صعودا إلى صعيد مصر أو انحدارا نحو الدلتا، وكان الغرض منها نقل الغلال والمؤن وغيرها من السلع[1]

فالبحرية تستخدم في الحروب والإدارية في الأمور الغير حربية تستخدم، وتتكون السفن القتالية من الستائر للوقاية الأسوار والسفن من الأسلحة الهجومية، والمدفع ومكاحل البارود والمجانيق وقدور الحيات والعقارب والأسلحة النفطية والمواد التي تتفاعل وتشعل نيران على العدو فإنها أيضاً وسائط لا تختلف عن وسائط القتال البرية، ومن وسائطها الخاصة اللجام وهو كالرمح المضلع في مقدمة السفينة لخرم السفن المعادية . والكلاليب وهي من حديد مثبتة في حبال من تلقى على سفن العدو فتوقفها ثم تجر وتلقى الألواح من الخشب بين السفينتين وينشب القتال داخل السفينة وكذا الفؤوس وهي قاطعة للكلاليب [2]

المبحث الثالث: تنظيم الاسطول الحربي المملوكي

أولاً: الإدارة البحرية:-

كان الأسطول يخضع لإدارة الدولة مباشرة، وكان يشرف عليه قادة عسكريون متخصصون، وكانت هناك وظائف بحرية محددة، مثل: أمير البحر- قادة السفن-الجنود البحريون- الفنيون والعمال

وكانت الدولة تهتم بتدريب البحارة، وتوفير المعدات اللازمة للأسطول. ففي المعارك البحرية بين السفن كان لها قوانين في سلطنة المماليك البحرية والبرجية اذا كانت الحرب بين الشواني وبين البطس

(1) المقريزي، الخطط، ج7، ص307.

(2) المقريزي، الخطط، ج7، ص 307.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

والمسطحات، فانهم لا يأتون بالشواني ولا بالمراكب الصغيرة والمسطحات لكي لا تغرق في انهارها، ولا يتمكنون منها من الجهات الاخرى ، فانها لا يمكنها الالتصاق بها وتقابلها من بعد وتشطحها بالفأس فيدخل عند الحرب في اسطام المركب وهي الخشبة التي في مقدم الشيني . وإذ تمكنوا يتاخرون بها ثم يقذفون النيران مرة واحدة ويدخل الماء فيه اما اذا كانت الحرب بين نوع واحد من السفن تتقرب الواحده من الاخرى ، وتحطمة ثم يطرح الألواح بينها كالجسر ويدخلون إليه ويقاتلون [1]، وكانت المراكب الكبار اذا سكنت الربح عنها ، جذبتها الشواني إلى موضع القتال ، وكان الأصل عندهم في قتال البحر هو معرفة الرياح ، فكانوا يحركون المراكب بالأرجل حتى ليتقدم خصمه او تعلوا على الرياح ، وكان على والي حرب البحر إذا خرج للقتال أن يتفقد المراكب ويجربها ويعمل على تخزين الاتها وتوفيرها بشكل جيد حتى اذا تلف شيء من ذلك يكون متوفر غيره [2]، وياخذ الحيطة في تغييرها وإحكام وجودها في الماء فإنه الامر الذي تهتم فيه الدولة واختيار من لديهم الخبرة في ذلك ، وفي هبوب الرياح وتقلبات الرياح [3]،ومن واجباته وقت الحرب أن لا يهجم على المراسي لئلا تكون مراكب الغزاة بها كامنة ، ويكون التقدم الى البر بعد معرفة تحركات العدو ، والاحتراز من الصخور والاعشاب والأحارش سيما وانها تقوم بتكسر عليها المراكب . ويخزن الأغذية والاشربة في السفرات الطويلة إن دعت الضرورة كادخال الصحون ، واذا كان القتال قرب البر والمياه والجزر فيجعل العيون والطلائع في الجبال فيتأهب بذلك ويفعل رئيس المركب من تأليفه الذين على متن القارب، وتشجيعهم وتحريضهم على المواجهة مثل المعارك التي تحدث على البر التي تكون اقوه من معارك البحر [4].

ثانياً: تحركات واستعدادات الاسطول

([1]) المقريزي، السلوك، ج2، ص77.

([2]) القلقشندي، أحمد بن علي(ت 821هـ/1418م)، صبح الاعشى في صناعة الانشاء، تح: محمد حسين شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1407هـ/ 1987م)، ج4، ص 14-20.

([3]) النويري، نهاية الارب ، ج27، ص120-135.

([4]) المقريزي، السلوك، ج2، ص310-325.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

اعتاد الأسطول الإسلامي أن يُجري تدريباتٍ دوريةً تحاكي واقع المعارك البحرية، وذلك بقصد إعداد رجاله وتأهيلهم لفنون القتال في البحر، واختبار مهاراتهم في المناورة والاشتباك، فضلًا عن فحص السفن وعتادها، والتأكد من جاهزيتها القتالية. وقد كانت هذه التدريبات تأخذ طابع المناورات البحرية المنظمة، المشابهة لما تجريه الأساطيل الحديثة في العصر الحاضر[1].

وكانت هذه المناورات تُقام في أجواء احتفالية رسمية، إذ كان يحضرها الخلفاء أو السلاطين وكبار رجال الدولة من أمراء ووزراء وقادة عسكريين، إضافة إلى عامة الناس على اختلاف طبقاتهم[2]. وكانت السفن تظهر في أبهى صورة، مزدانةً بأسلحتها ولبودها ومناجيقها وسائر أدواتها الحربية، فتسير أمام الخليفة في استعراض عسكري منظم، ثم تقوم بحركات قتالية وتمثيلات حربية تُجسّد مشاهد الاشتباك مع العدو، في صورة تدريبية تجمع بين العرض العسكري والاستعداد الفعلي للحرب[3].

ووصف هذا اليوم المقريزي في المواعظ والاعتبار فقال : "وفي سنة 692هـ/1293م السلطان الملك الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون، الى الوزير الصاحب شمس الدين محمد بن السعلوس ، بتجهيز أمر الشواني فنزل الى الصناعة، واستدعى الرئيس وهيأ جميع ما تحتاج إليه الشواني حتى كملت عدتها نحو ستين شونة ، وشحنها بالعدد ، وآلات الحرب ورتب بها عدة من المماليك السلطانية وألبسهم السلاح، فأقبل الناس لمشاهدتهم من كل أوب، قبل ركوب السلطان بثلاثة أيام وصنعوا لهم قصوراً من خشب ، وأخصاص القش على شاطئ النيل خارج مدينة مصر وبالروضة ، واكتروا الساحات التي قدام الدور والزرابي بالمائتي درهم ، كل زريبة فما دونها بحيث لم يبق بيت بالقاهرة ومصر إلا وخرج أهله أو بعضهم لرؤية ذلك ، فصار جمعاً عظيماً ، وركب السلطان ونائبه الأمير (بيدر) وبقية الأمراء قدام دار النحاس ، ومنع الحجاب من التعرض لطرد العامة ، فبرزت الشواني واحدة بعد واحدة ، وقد عمل في كل شونة برج وقلعة تحاصر ، والقتال عليها ملح ، والنفط : يرمى عليها ، وعدة من النفاطين في أعمال الحيلة في النقب ، وما منهم إلا من أظهر في شونته عملا معجباً وصناعة غريبة يفوق بها على صاحبه ، وتقدم

(1) المقريزي، السلوك، ج1، ص 465.

(2) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ، ج 4، ص345.

(3) ابن اياس بدائع الزهور ، ج4، ص231.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

ابن موسى الراعي وهو في مركب نيليلة فقرأ قوله تعالى : (بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم) ؛ ثم تلاها بقراءة قوله تعالى : (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء) الى آخر الآية . هذا والشواني تتواصل بمحاربة بعضها بعضاً إلى أن أذن لصلاة الظهر ، فشخص السلطان بعسكره عائداً إلى القلعة ، فأقام الناس بقية يومهم وتلك الليلة على ما هم عليه من اللهو في اجتماعهم ، و كان شيئاً يجل وصفه . وأنفق فيه مال لا يعد بحيث بلغت أجرة المركب في هذا اليوم ستمائة درهم فما دونها . وكان الرجل الواحد يؤخذ منه أجرة ركوبه في المركب خمسة دراهم . وحصل لعدة من النواتية أجرة مراكبهم عن سنة في هذا اليوم . وكان الخبز يباع اثنا عشر رطلا بدرهم ، فلكثرة اجتماع الناس بمصر بيع سبعة أرطال بدرهم، فبلغ خبر الشواني الى بلاد الفرنج فبعثوا رسلهم بالهدايا يطلبون الصلح" [1].

وذكرت احد الروايات التاريخية " وفي سنة 659هـ/1260م ركب الخليفة المستنصر بالله أبو القاسم بن الامام الظاهر ومعه السلطان من مكان تواجدهم في القلعة الى النيل في الحراريق وسارا في حتى وصلوا الجزيرة ونزلوا بها واستعدت الشواني الحربية فلعبت في النيل على هيئة محاربتها العدو في البحر بعد ذلك توجهوا الى البر وسارا الى ورجعوا الى قلعة الجبل وقد خرج الناس لمشاهدتها فكان من الأيام المشهودة[2]

المبحث الرابع: دور الاسطول المملوكي في الحروب

اولاً: مواجهة الصليبيين:

أسهم الأسطول المملوكي في حماية السواحل الإسلامية ومنع الصليبيين من السيطرة على المدن الساحلية، كما شارك في العمليات العسكرية الموجهة ضدهم، وكان سلاطين المماليك يولون عناية كبيرة بإعداد وتجهيز القوى العسكرية بمختلف صنوفها، سواء القوة البحرية أو جيش المشاة، فضلا عن ازدياد اهتمامهم بالأسطول نتيجة لهجمات القراصنة في البحر المتوسط على المسلمين، الأمر الذي دفعهم إلى إنشاء قوة بحرية قوية لمواجهة تلك الهجمات وحماية التجارة الإسلامية في البحر المتوسط، ومع ظهور

([1]) الخطط، ج4، ص768.

([2]) المقريزي، السلوك، ج3، 107.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

الأسطول المملوكي في السواحل تراجعت أعمال النهب والسلب في البحر، بينما ازدادت الهجمات كلما ضعف هذا الأسطول، وهنا لابد لنا من استعراض استعدادات المماليك البحرية لمواجهة أعمال القرصنة. لذلك أهتم الظاهر بيبرس بأمر انشاء الاسطول وحماية السواحل الإسلامية من الاعتداء عليها وقد أورد المقريزي ذلك بقوله: اهتم في الشواني الحربية واستدعي برجال الأسطول، استخدم هؤلاء في الحراريق وغيرها من الأعمال البحرية، كما جرى انتدابهم للأسفار، ووقاموا بمد الشواني بقطع الأخشاب اللازمة لترميمها وإعادتها إلى ما كانت عليه من قبل . وشددت في رقابة الخراج، ومنع الناس من التقرب على مركز صناعتها والمواد المستخدمة فيها مثل أعواد العمل، كما أُمر بعمارة الشواني في سواحل الإسكندرية ودمياط، وكان السلطان يشرف بنفسة على دار الصناعة في مصر ليتابع تنظيم الأعمال المتعلقة بالشواني وما يلزمها من مصالح، كما استدعيت شواني الثغر إلى مصر، فبلغ عددها أكثر من أربعين قطعة، عدا الحراريق والطرائد، وهو ما شكل عدة بحرية كبيرة[1].

واتسمت سياسة السلطان الظاهر بيبرس تجاه الفرنج والقراصنة بطابع الشدة والقسوة، ويرجع ذلك إلى اعتداءات القراصنة المتكررة على السواحل الإسلامية والسفن التجارية، فضلاً عن اقامت علاقات مع أعداء دولة المماليك، لذلك كان يتم التصدي على أي اعتداء يقع في البحر بسرعة وحزم، أما السلطان المنصور قلاوون (678-689هـ/1279-1290م)، فقد اتخذ موقفا قريبا من سياسة بيبرس، إذ اتسمت سياسته كذلك بالحزم تجاه القراصنة مع اتخاذ الحيطة والحذر؛ وعندما استولى على طرابلس سيطر عليها ونقلها إلى سفح الجبل خشية تهديد سفن قراصنة الفرنجية[2] كما أشار المؤرخ المقريزي إلى اهتمام السلطان الأشرف خليل (689-693هـ/1290-1293م) بإنشاء أسطول قوي سنة 693هـ/1293م، لمواجهة أعمال القرصنة والاعتداءات على السواحل الإسلامية[3]،ويظهر من ذلك أن دور القوى البحرية الإسلامية في مواجهة القراصنة كان واضحا من خلال عناية سلاطين المماليك بالأسطول البحري.

---

(1) الخطط، ج3، ص18.

(2) صالح يحيى، تاريخ بيروت، تح: الاب لويس شيخو اليسوعي، ط2، (بيروت، 1927م)، ص41.

(3) الخطط، ج3، ص19.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

إن تطهير السواحل الإسلامية من القراصنة والهجمات البحرية كان يتطلب جملة من الإجراءات التي عمل على تحقيقها عدد من السلاطين. وكان أول عمل هو الاهتمام بإنشاء قوة بحرية ليقوي موقفه في مواجهة الأعداء الذين يهجمون على البلاد من جهة البحر ، وقد قام بذلك بيبرس (660-676هـ/1260-1277م)، إذ أنشأ أسطولا بحريا وجهز الجنود. وثانيها المبادرة بمهاجمة من يعتدي على المسلمين؛ فقد أرسل أسطولا بحريا إلى قبرص بعد اعتداء القبارصة على سواحل المسلمين، حيث قاد رئيس الشواني، هذا الأسطول متجها نحو قبرص، وفي الليل أراد مهاجمتها، إلا أن إحدى الشواني اصطدمت بشعب فانكسرت، وتبعتها بقية الشواني حتى تحطمت كلها، فبلغ الخبر ملك قبرص الذي أسر من فيها، وكتب إلى السلطان يخبره بما حدث ويوبخه، مشيرا إلى تحطم إحدى عشرة قطعة وأسر رجالها، فرد السلطان، أما الأمر الاخر فتمثل في الاهتمام بتحصين الثغور الساحلية ومراقبة حركة السفن على السواحل[1].

ثانياً: مواجهة البرتغاليين

كان نزاع بحري بين المماليك والبرتغاليين في المحيط الهندي، أعقب التوسع البرتغالي بعد إبحار البرتغاليين حول رأس الرجاء الصالح عام902هـ/ 1497م. وقع النزاع في أوائل القرن السادس عشر حتى سقوط سلطنة المماليك عام922هـ/ م1517.

اذ تعرضت التجارة العربية الى الهجوم المباشر من قبل البرتغاليين عام 908هـ/ 1503م، اذ نهب واغرق البرتغاليين اول سفينة مصرية في طريق عودتها من الهند [2]، اذ قاموا المماليك بالتجهيز للرد على البرتغاليين ففي عام910هـ/ 1505م امر السلطان المملوكي قانصوه الغوري[3] بخروج اول تجريدة على

([1]) مقريزي، الخطط، ج3، ص18؛ ابن اياس، النجوم الزاهرة، ج7، ص139.

([2]) E.J. Brills first encyclopaedia Islam 1913-1936 by M.Th. Houtsma p. 720ff

([3]) قانصوه الغوري: هو السلطان الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغوري، أحد سلاطين دولة المماليك البرجية الشركسية)، ولد نحو سنة 844هـ/1441م، وأعتق من الرق بعد أن اشتراه السلطان قايتباي، فتدرج في المناصب العسكرية والإدارية حتى تولّى السلطنة سنة 906هـ / 1501م بعد صراع داخلي بين أمراء المماليك كان الغوري من المماليك الجراكسة، وقد عرف بثقافته واهتمامه بالأدب والعلم، إضافةً إلى خبرته العسكرية والإدارية، مما أهله للوصول إلى عرش السلطنة في مرحلة اتسمت بضعف الدولة وتكاثر الأخطار الخارجية . ينظر: ابن اياس، بدائع الزهور، ج4، ص550.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

البرتغاليين وجهز الاسطول بالاخشاب والأسلحة من الدولة العثمانية وطاقم من نجاري السفن جلبوا من شرق البحر المتوسط[1].

أرسل السلطان الغوري أسطولاً بقيادة الأمير حسين الكردي لمساندة سلطنة كجرات ضد التوسع البرتغالي[2] وقد التقى الأسطولان قرب ميناء شاول، وانتهت المعركة بانتصار التحالف الإسلامي ومقتل لورينسو دي ألميدا، ابن نائب الملك البرتغالي في الهند[3]. وقد جرت معارك أخرى بين المماليك والبرتغاليين ثبتت قوة الاسطول المملوكي.

وفي معركة ديو920هـ/ 1509م عاد البرتغاليين للقتال بشراسة تحت قيادة نائب الملك بنفسة الذي كان يريد الثأر لموت ابنه وتحرير الاسرى البرتغاليين في معركة شاول وفي هذه المعركة معركة ديو نجح البرتغاليين من القضاء على الاسطول المملوكي[4]، وهي كانت معركة بحرية فاصلة من الناحية الاستراتيجية وقد استخدم السفن التي طلب قانصوه الغوري من تجميع اخشاب السفن القديمة على ساحل البحر وإعادة تأهلها واستخدامها في الحرب لكن على الرغم من ذلك تمكن البرتغاليين من الانتصار على المماليك[5].

الخاتمة

1- أن القوة البحرية شكّلت أحد الأعمدة الاستراتيجية في بنية الدولة المملوكية، ولا سيما في مرحلتها البرجية، حيث ارتبطت بحماية الثغور، وتأمين طرق التجارة في البحرين المتوسط والأحمر. وقد أظهرت الدراسة أن المماليك، رغم طابعهم البري العسكري، أدركوا أهمية البحر مبكراً، فأنشؤوا دور صناعة السفن في الإسكندرية والروضة والسويس، واستقدموا الخبرات والمواد الخام لتطوير أساطيلهم.

(1) Venice a maritime republic by Frederic Chapin Lana p.290.

(2) ابن اياس، بدائع الزهور، ج5، ص411.

(3) المصدر نفسة.

(4) ابن اياس، بدائع الزهور، ج6، ص435.

(5) المصدر نفسة، ج6، ص440.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

2- تبيّن أن السفن الحربية المملوكية من الشواني والغراب والطرائد وغيرها لم تكن مجرد أدوات نقل أو قتال، بل كانت منظومة عسكرية متكاملة تضم تنظيماً دقيقاً للقيادة والتموين والتسليح، وتعكس مستوىً متقدماً من المعرفة البحرية قياساً بظروف العصر. غير أن التحديات البنيوية، وعلى رأسها ندرة الأخشاب، والاضطرابات الداخلية، والتنافس مع القوى الصاعدة كالدولة العثمانية والبرتغال، حدّت من قدرة المماليك على تطوير أسطول دائم يوازي التطور البحري الأوروبي في مطلع القرن السادس عشر.

3- كشفت المواجهات البحرية، لاسيما في البحر الأحمر والمحيط الهندي، عن محاولة مملوكية جادة للدفاع عن المجال الاقتصادي الإسلامي، وإن انتهت بهزائم مؤثرة كان لها دور في إضعاف الدولة قبيل سقوطها. وعليه، فإن دراسة السفن الحربية في العصر المملوكي لا تُعد بحثاً في الجانب العسكري فحسب، بل هي مدخل لفهم التوازنات السياسية والاقتصادية والتقنية التي حكمت شرق المتوسط قبيل الغزو العثماني.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

المصادر والمراجع

المقريزي، تقي الدين أبو العباس (ت 845هـ/ 1441م)،

1-المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار، تحقيق: خليل منصور، ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1418هـ/1998م)

ابن اياس، محمد بن احمد الحنفي(930هـ/ 1523م)،

2- بدائع الزهور في وقائع الدهور، ط1، المعهد الألماني للبحوث الشرقية، (بيروت، 1395هـ/ 1975م)،

الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي، (ت 748هـ/ 1347م) ،

3-سير اعلام النبلاء، بيت الأفكار الدوليه

ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء (ت 774هـ/1372م)،

4-البداية والنهاية، ط1، مطبعة السعادة، (القاهرة، 1385هـ)

ابن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن ابي الفوارس (٧٤٩هـ / ١٣٤٩م) ،

4-تاريخ ابن الوردي ، ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٦م)

النويري ، شهاب الدين بن احمد عبد الوهاب (ت 733هـ/ 1332م)،

5-نهاية الأرب في معرفة فنون الأدب ، تح: نجيب مصطفى وحكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، (بيروت، 2003م)

ابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف (ت874هـ/ 1469م)،

6-النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، وزارة الثقافة والارشاد، دار الكتب ، مصر ، د.ت)

7-المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تح: محمد محمد امين ، الهيئة المصرية

السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد(ت 902هـ/ 1496م)،

8-الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، (بيروت، د.ت)

الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (1205هـ/ 1790م)،

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

9- تاج العروس من جواهر القاموس، المجلس الوطني للثقافة والفنون، (الكويت، 2001م)، ج5، ص 157.

الجوهري، أبو النصر إسماعيل بن حماد (ت 393هـ/1002م)،

10- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: احمد عبد الغفور، ط4، دار العلم، (بيروت، 1407هـ/1987م)،

عطية الله ، احمد،

11- القاموس الإسلامي، ط1، دار النهضة، (القاهرة، 1963م)،

ابن مماتي، الاسعد ابن مماتي (ت606هـ/ 1209م)،

12- قوانين الدواوين، تح: عزيز سوريال، مطبعة مصر، (الإسكندرية، 1943م)

ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون (ت 808هـ/1405م)،

13-المقدمة، ط1، دار الفكر، (بيروت، 1401هـ/1981م)

القلقشندي، أحمد بن علي(ت 821هـ/1418م)،

14-صبح الاعشى في صناعة الانشاء، تح: محمد حسين شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1407هـ/ 1987م)

صالح يحيى،

15-تاريخ بيروت، تح: الاب لويس شيخو اليسوعي، ط2، (بيروت، 1927م).

16--Venice a maritime republic by Frederic Chapin Lana

17-سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ط9، مكتبة الانجلو مصرية، (مصر، 2010م)،ج2، ص423.